

قصة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ أَعِين

نبيُّ الله يوسف: هو يوسف بن يعقوب إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن. وفي القرآن سورة تحمل اسمه.

وكان ليوسف أحد عشر أخاً لأبيه، أصغرهم بنيامين. وهو أصغر منه بقليل. وأمُّهما ماتت أثناء نفاسها ببنيامين.

وبعد وفاة الأمِّ ذهب يوسف ومكث عند عمِّته مدة، ثم أخذه أبوه وكان شديدَ التعلق به، يبقيه معه أينما حلَّ وذهب. مما أثار غيرة إخوته منه، لأنَّ أباهم يحيطه بالرعاية والعناية أكثر منهم. فكانوا يقولون: ﴿يُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: 8].

وعلم الأب بنوايا أولاده تجاه يوسف من الكراهية وإضرار الشر له، مما زاد تعلقه به خشية عليه منهم.

رؤيا يوسف:

في أحد الأيام استيقظ يوسف من نومه وقد رأى حلمًا غريباً. فقام وقصَّه على والده وقال له: ﴿يَتَأْتِيَ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 4].

فما كان من الأب إلا أن قال له: ﴿يَبْنِي لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: 5].

ويُشَرُّه بأن الله سَيُعَلِّمُهُ تَفْسِيرَ الْأَحْلَامِ، ويكون ذا شأن في مستقبل أيامه. ﴿وَكَذَلِكَ يَجْئِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبْنَائِكَ مِن قَبْلُ ۖ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: 6].

وسمعت امرأة يعقوب ما دار من حوار بين يوسف وأبيه. فما كان من زوجها يعقوب إلا أن أمرها أن تكتم ما سمعت، وقال لها: «لا تخبري أولادك بذلك».

فقالت: نعم.

ولكن ما إن أقبل الأولاد مساءً من مراعيهم حتى أخبرتهم بالرؤيا التي أمرها يعقوب بكتمها عنهم.

فما كان منهم إلا أن ازدادوا حنقاً وحقداً على يوسف. وقالوا لها: ما عنى بالشمس غير أبينا، ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا. ثم قالوا: إن يوسف يريد أن يتملك علينا فحسدوه على ذلك.

المؤامرة على يوسف:

عقد إخوة يوسف اجتماعاً ينظرون ما هم فاعلين ليتخلصوا من يوسف ومن حب أبيهم له.

فاجتمعوا وتحاوروا فيما بينهم وقرروا التخلص من يوسف بقتله فیرتاحون منه ويعود حب أبيهم لهم. وعاهدوا أنفسهم أن يكونوا من بعد هذا العمل صالحين في الحياة. فاستعدوا للتوبة قبل وقوع الذنب.

ولكن هذا الأمر لم يرق لأحد الإخوة. فكانت رقة قلبه أكثر منهم قليلاً. وقال لهم: إذا أردتم أن تتخلصوا من يوسف ألقوه في قعر البئر

الموجود في المراعي عسى أن يراه أحد المسافرين ويأخذه، ويكون بهذا الأمر قد ابتعد عنكم وعن أبيكم، وتكونوا قد حققتم غايتكم من إبعاده والتخلّص منه.

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَبْحُلُ لَكُمْ وَجَهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوَّةَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ [يوسف: 9 - 10].

قرّر الإخوة تنفيذ قرار الإبعاد بإلقاء يوسف في البئر. ولكن كيف السبيل إلى ذلك وأبوهم لا يفارق يوسف؟.

فعمدوا إلى أسلوب الحيلة وبدأوا يظهرن ليوسف التودّد واللعب حتى شوقوه ليذهب معهم إلى المراعي.

فقال لهم: كيف السبيل إلى ذلك؟ اسألوا أبي!.

فما كان منهم إلا أن وقفوا صفّاً أمام أبيهم وقالوا له: يا أبانا، دع يوسف يذهب معنا إلى المراعي يلعب هناك نحفظه ونرعاه حتى نعود به في المساء. فامتنع. ولكنهم ألحوا في طلبهم و﴿قَالُوا يَتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ﴾ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ [يوسف: 11 - 12].

فما كان من الأب إلا أن: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف: 13]. فزاد في كراهيتهم ليوسف وقوّوا عزمهم على ما نَوّوا. وكتموا ذلك وأظهروا خلافه لأبيهم ما دلّ على خبثهم حين ﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَيْرُونَ﴾ [يوسف: 14]. فأومؤوا إلى نيتهم ﴿إِنَّا إِذًا لَّخَيْرُونَ﴾، يشيرون إلى احتمال ضياع يوسف. ولعلّ يعقوب إنما قاله، لأنه رأى في منامه

كَانَ يُوسُفُ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ ، وَكَأَنَّ عَشْرَةَ مِنْ الذَّنَابِ قَدْ شَدُّوا عَلَيْهِ لِأَكْلِهِ ، وَإِذَا ذُئِبَ مِنْهَا يَحْمِي عَنْهُ . وَكَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ انْشَقَّتْ ، فَدَخَلَ فِيهَا يُوسُفُ ، فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ . فَلَمَّا رَأَى يَعْقُوبُ هَذِهِ الرُّؤْيَا خَافَ عَلَى يُوسُفَ مِنَ الذَّنْبِ . فَلِذَلِكَ قَالَ لَهُمْ : ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ﴾ [يوسف : 13] .

تنفيذ المؤامرة:

فرح إخوة يوسف بأن مخططهم سينفذ بعد أن سمح الأب ليوسف بمرافقة إخوته إلى المراعي .
ونام الجميع وكلهم مسرور .

يوسف الصغير نام مسروراً ، لأنه في اليوم التالي سيكتشف عالماً جديداً يعرفه إخوته . وكان يمّتي نفسه باللعب والقفز الذي صوّره له إخوته له في المراعي .

والإخوة ناموا مسرورين بأن يوسف سيكون بصحبته بعيداً عن أبيهم كي ينفذوا المؤامرة عليه .

وما إن طلع الصباح حتى استعد الجميع للرحيل ، وأحضروا الزاد وذهبوا برفقة مواشيهم إلى المراعي .

فلما وصلوا كشف الإخوة عن نواياهم ليوسف وبدأ الجميع بضربه . وكان يستصرخهم واحداً تلو الآخر عسى أن يشفق أحدهم عليه ويرأف به ! لكن دون جدوى .

وفي نهاية المطاف أمسكوا به ونزعوا عنه قميصه الذي كان يرتديه رَمَوْهُ فِي الْبُئْرِ الْمَوْجُودِ بِالْقَرَبِ مِنْهُمْ .

وتركوه ومَضَوْا. وبدأ يوسف بالصراخ والعيول، فلم يرد أحد عليه.

وأوحى الله له وهو في البئر، بأنه سينقذه من هذا المأزق. وسوف يرى إخوته فيما بعد وينبئهم بما كان من أمرهم معه وهم لا يشعرون بذلك. ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ وَأَرْجَيْنَا إِلَيْهِ لَنُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: 15].

ماذا فعل الإخوة بعد ذلك؟

أخذوا قميص يوسف وقاموا بصيد حيوان وذبحوه، وأخذوا دمه ووضعوا هذا الدم على قميص يوسف. حتى إذا ما عادوا في المساء إلى أبيهم أتوا له بحجة أن الذئب قد أكله.

ولم يصدق الأب قولهم فيما يقولون حتى يرى قميص يوسف وعليه من دمه. وخيل إليهم بفعلهم هذا أن أباهم سيصدقهم فيما قالوا. وفي المساء حان وقت عودتهم وكانوا يعودون قبيل المغرب. ولكن في هذه المرة تأخروا.

لقد كان تأخرهم عمداً حتى يشتد الظلام ويعودوا إلى أبيهم وهم يصرخون ويبيكون. ولا يستطيع أن يرى ملامح وجوههم في الظلام، ذلك لأنه في تلك الأيام لم يكن لديهم أضواء للإنارة ليلاً.

وحينما قرب موعد عودة الأبناء ولم يعودوا، خرج يعقوب من منزله ينتظر عودة أولاده بفارغ الصبر وقلبه يحدثه بأن هناك أمراً ما قد حصل.

وقبل العشاء جاء الأبناء ما عدا يوسف. وما إن اقتربوا من أبيهم

ربّه، ويسأله كشف المحنة عنه. وجاءت ساعة الإجابة بكشف هذه المحنة بأن جاء بعض الناس المسافرين الذين يقصدون أرض مصر .

وما إن اقتربوا من موضع البئر الذي فيه يوسف حتى أمروا أحدهم أن يسبقهم إلى موضع البئر ليسقي مواشيهم ويسمّى: الوارد.

وما إن وصل هذا إلى البئر، وحضّر دلوه ووضع في البئر ليجلب منه الماء حتى تمسك يوسف بالحبل وخرج من البئر. فأمسك به الرجل وصرخ من الفرح بأنه قد لقي شيئاً! . ووضع رجالات القافلة مع بضاعتهم وأرادوا بيعه في أرض مصر حيث يتوجّهون. ولم يخبرهم يوسف بأمره خوفاً من إخوته وخوفاً من أن يقتلوه.

وذهبوا به إلى أرض مصر. وهناك باعوه بثمن قليل جداً، قياساً لمن هو في مثل صفاته. ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يوسف: 19 - 20].

يوسف في مصر :

اشترى عزيز مصر يوسف، بعد أن رأى من جماله وحسنه وملاحم ذكائه البادية على وجهه. وذهب به إلى منزله، وخاطب امرأته بأن تحسن معاملته عسى أن يتفنعوا به أو أن يجعلوه ولدًا. إذ إنه في تلك الفترة لم يكن قد حرّم التبني. ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 21].

يوسف وامرأة العزيز:

اهتمت امرأة العزيز بيوسف وأكرمته وأحسنت إليه . وكان كل يوم يزداد جمالاً وهو الذي حباه الله بهذه النعمة . ولكن هذا الجمال أوقع في نفس امرأة العزيز حباً لم تستطع أن تقاومه بعد أن وسوس لها الشيطان بأمر ما .

وفي أحد الأيام نوت هذه المرأة أن تنفرد بيوسف بعد خروج زوجها من المنزل .

وأغلقت الأبواب وعرضت نفسها على يوسف كي يقبل عليها . فامتنع عن ذلك وقال لها: «معاذ الله» إن هذا خيانة لزوجك ربّ هذا المنزل الذي أكرمني وأحسن إليّ .

ولكنها عادت إليه ولم تأبه لِمَا يقول . وأنقذه الله من هذا الموقف بأن أراه برهاناً عاد فيه إلى رشده .

وهذا البرهان قيل فيه الكثير . وقيل : إن امرأة العزيز كان لها صنم في الغرفة فقامت إليه تغطيه قبل أن تقوم بأي فعل . احتراماً لِمَا تعبد .

فقال : إن كانت امرأة العزيز تستحي من الصنم الذي لا ينفع ولا يضر ولا يعقل ، فحري بي أن أستحي من الله الخالق القدير . فكان هذا برهان ربّه . ﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَرْءُ بِحُجْرٍ قَنَاطٍ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأُبُوبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِوَيْءٍ (١) وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشَّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: 23-24] .

(1) الهمُّ بالشئ: ما حدث المرء به نفسه ولم يفعله بعد .

فما كان منه إلا أن هرب منها إلى الباب ليفتحه بينما امرأة العزيز سابقتها إلى الباب تأمره بالرجوع إليها. وقامت بإمساكه من الخلف مما مزّق قميصه الذي يرتديه.

وما إن وصلا إلى الباب حتى كان زوجها قد أتى برفقة أحد أقاربها، فلما رأت ذلك، تمالكت نفسها وغيّرت الحقيقة وقالت لزوجها: ما جزاء من يحاول أن يعتدي على زوجتك إلا السجن أو التعذيب بالضرب. فما كان من يوسف إلا أن أقرّ بالحقيقة وقال: هي التي حاولت أن تدفعني إليها بينما أنا حاولت الهروب منها إلى الباب.

وكان قريبها الذي أتى مع زوجها يتمنّع بذكاء. وأراد أن يظهر الحقيقة ويلتمسها مما حوله. فوجّه كلامه لزوجها وقال: إن كان قميص يوسف قد مزّق من الأمام فتكون زوجتك صادقة فيما تقول؛ لأنها لو أراد بها يوسف شراً لكانت دافعت عن نفسها بتمزيق قميصه من الأمام.

أما إن كان قميص يوسف قد مزق من الورا، فيكون هارباً منها وقد أمسكت به إمساكاً شديداً فمزّقت له ثوبه.

ولمّا تفحص قميص يوسف ورآه قد مزّق من الخلف. ظهرت براءة يوسف، وكذب امرأة العزيز.

عند ذلك أمر العزيز يوسف، بكنم ما حصل. حتى لا يكون حديث الناس في المدينة. وهو في مقامه كبير الشأن في قومه، كي لا يفتضح سرُّ بيته بين الخلق.

وأمر زوجته أن تستغفر لذنبيها؛ لأنها آثمة بهذا العمل. ﴿وَأَسْتَبْقَا الْبَابَ وَكَذَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ

شَاهِدٌ مِّنْ أَمَلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ
 الْكَذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾
 فَلَمَّا رَمَى قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾
 يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾

[يوسف: 25-29].

امراة العزيز والنسوة في المدينة:

تسرَّب الخبر إلى المدينة، وبدأت ألسنة الناس تخوض في هذا الحديث، وكان النسوة قد لاموا امرأة العزيز على ما كان من أمرها مع فتاها يوسف.

ووصل إليها ما يقال عنها في المدينة. فأرادت أن تقوم بعمل ما كي تبرّر فعلها. فعمدت إلى أسلوب الحيلة، ودعت أشراف النساء إلى بيتها بعد أن أعدت لهن مكاناً يجلسن فيه. وكانت قد جهّزت لضيافتهن أنواعاً من الفاكهة بحاجة إلى سكاكين كي يأكلوه. وما كان منها إلا أن سنت السكاكين جيداً.

وما إن وصل النساء إلى بيتها وتسامرن معها في عدد من الأمور، حتى أمرت بالفاكهة والسكاكين أن تُخَصَّرَ إليهن. وما إن بدأت بتناول السكاكين وقصّ الفاكهة حتى أمرت يوسف أن يخرج عليهن. ودخل يوسف ورأينه على هذا الحسن من الجمال، فانشغلن به وجرحن أيديهن، دون أن يشعرن.

هنا قالت لهن امرأة العزيز: هذا هو الفتى الذي تكلمتن عليّ بشأنه.

فما رأيكنّ به؟

ف قالت النسوة لشدة جماله: من غير المعقول أن يكون هذا جمال بشر؛ بل ربما يكون ملاكاً لشدة جماله!

وعندما رأت انبهارهن أمام جماله، أقرت لهن بالحقيقة التي صدرت منها تجاهه، وأنه بريء.

وقالت لهن: ولئن أمرته بشيء ولم يستجب فسيكون السجن مصيره. ويكون من الأدلاء المهانين بسلب النعمة التي وجد فيها. أي: في بيت من علية القوم، وهذا ما كان يتمناه الكثيرون.

هنا توجه يوسف إلى ربه بالدعاء أن يصرف عنه ما فيه من البلاء. واستحب السجن على البقاء في هذا المأزق الكبير. ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَنْهَى عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُوْا لَيَسْجُنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُمْ هُمُ السَّاعِيَةُ الْعَالِمَةُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْأَيَّاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ [يوسف: 30-35].

ولما رأى الجميع براءة يوسف وعفته، رأوا وضعه بالسجن فترة كي يسكت الناس ويُنسى خبره.

يوسف في السجن:

دخل يوسف السجن وحمد ربه على استجابته لدعائه بصرفه من المأزق الذي وضع فيه.

وكان يوسف في سجنه يسبح الله ويصلي، وكان إذا رأى أحد السجناء يائساً يقول له: اصبر فإن في ذلك أجراً. فوقع ذلك في قلوب السجناء وأحبوه .

وقدر الله أن يدخل معه السجن فتيان. الأول: ساقى الخمر للملك، والثاني: صانع الخبز.

ورأى هذان كل واحد منهما رؤيا أذهلته. وقاما يخبران يوسف بهما.

فقال الأول: إني رأيت في المنام أني أعصر عنباً لأصنع منه خمرأ. وقال الثاني: إني رأيت في المنام أني أحمل فوق رأسي فرشاً من الخبز وتأتي الطيور إليه وتأكل منه.

وقالا له: يا يوسف، نبئنا بتفسير ما رأينا. إنا نراك على علم بتفسير الرؤى.

فما كان من يوسف إلا أن قال لهما: سأخبركم بنوع الطعام الذي ستأكلونه قبل مجيئه. وكأنه أراد أن يدعوهم إلى الإيمان ويستغل فرصة سماعهم لقوله. وانطلق من هذا إلى إخبارهم أنه يعلم ذلك لتعليم الله له. وأنه ترك ملة الناس المشركين واتبع ملة الإسلام بتوحيد الله التي اتبعتها آباؤه.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف: 36-37].

وقام يدعو السجناء إلى وحدانية الله . ودعا صاحبيه إلى الله وبين لهم بالدليل العقلي أن تعدد الآلهة يدل على عجزها ووحدته تدل على قوته ، وقال لهما : ﴿ يَصْصَحِي السِّجْنِ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف : 39] . وبين لهما أن الله هو المتصرف الوحيد بهذا الكون ، أمره مطاع وقضاؤه نافذ . ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَبَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ [يوسف : 40] ، ثم أخبرهم أن عبادتهم للأصنام واعتبارهم إيّاها آلهة ما هو إلا وهم لم يثبت عقلاً ولا نقلاً ﴿ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [يوسف : 40] ، فدعاهما إلى توحيد الله ونبذ ما هم عليه من باطل ، وأخبرهما أن ذلك هو الدين الصالح في نفسه ، المصلح للناس ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [يوسف : 40] ، ولكن الناس في غفلة عن ذلك يجهلون ما يجب ، ويجهلون ما يجب عليهم معرفته ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : 40] .

ثم شرع يفسر لهما المنام الذي رآه كل منهما . وقال لهما : ﴿ يَصْصَحِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الْطَيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴾ [يوسف : 41] . فبين لهما أن أحدهما سينجو ويعود إلى عمله والآخر سيقتل لا محالة . وبين لهما أن ذلك أمر محكم قد فرغ منه ، ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ [يوسف : 41] . وهنا تشوق يوسف للخروج من السجن . فطلب إلى أحدهما أن يذكره عند الملك ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف : 42] . فالتفت إلى مخلوق ونسي إحسان الله إليه ، وإجابته دعوته . فعاقبه الله ﴿ فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف : 42] .

ولما حان وقت خروج يوسف هياً الله أسباب ذلك فكانت رؤيا الملك .

رؤيا الملك:

رأى الملك رؤيا أخافته ملخصها:

أن سبع بقرات عجاف أكلن سبع بقرات سمان وبقين نحيفات .
ورأى سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات يابسات . فخاف من ذلك الحلم
العجيب وطلب تفسيراً له .

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ
سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُ لِلرُّؤْيَا
نَعْبُورُونَ ﴿٤٣﴾﴾ قَالُوا أَضْغَنْتَ أَحْلِمَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾
[يوسف: 43-44] . فقص الرؤيا وطلب تفسيرها . ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا
وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴿١﴾﴾ [يوسف: 45] .

وهنا تذكر الساقى يوسف وتأكد له أنه الوحيد القادر على تفسير
المنام . فقال واثقاً: ﴿أَنَا أَنْتَنُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: 45] .
وقال الساقى للملك: أرسلني إليه لأعود لك بتفسير ما رأيت . فأذن
له . وانطلق الساقى إلى يوسف .

وما إن وصل إليه وسلم عليه حتى أخبره بأمر رؤيا الملك وقال له :
﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ
سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 46] .

فما كان من يوسف إلا أن قام من فوره بتفسير الرؤيا و﴿قَالَ تَزْرَعُونَ
سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ

(1) اذكر بعد أمة: تذكر بعد مدة.

بَعْدَ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ [يوسف: 47 - 49].

فأشار يوسف بزرع الأرض زراعة متواصلة، مدة سبع سنين، وأكل ما يلزمهم فقط. وبإنشاء مخازن كبيرة لتخزين القمح الباقي، بعد تركه في سنبله لسني المجاعة⁽¹⁾، بحيث يأكل الناس اللب ويجعل قشر القمح مع السنبال علفاً للدواب. فيكون الجميع بهذه الطريقة قد أمّن قوته.

شكر الساقى يوسف على تفسيره لرؤيا الملك وودّعه وانطلق فرحاً. وما إن وصل إلى الملك وأخبره بتفسير يوسف لهذه الرؤيا بعد أن عجز الناس عن تفسيرها، عرف أن لديه فصاحة، فأرسل في طلبه ليحضر بين يديه.

وما إن جاءه رسول الملك حتى أُرِفت ساعة النجاة، وبدلاً من أن يذهب إلى حضرة الملك فرحاً من دون نقاش، أبى أن يخرج من السجن إلا بعد أن تظهر براءته وهو الطاهر ابن الطاهرين من آباءه الأنبياء.

فقال للرسول: ارجع إلى الملك ودعه يسأل عن النساء اللاتي جرحن أيديهن منذ زمن. وما كان من أمرهنّ مع امرأة العزيز.

أرسل الملك في طلب النساء واستفسر منهنّ عن أمر يوسف. وشهدن بأنه عفيف طاهر، وأنه دخل السجن ظملاً كما شهدت بذلك امرأة العزيز.

وما كان طلب يوسف من إظهار براءته، إلا ليعلم سيده العزيز أنه

(1) ترك القمح في سنبله، يجعله سليماً لفترات طويلة، مما اعتاده الناس في الحروب، بعد أن تعلّموا ذلك من يوسف.

بريء وأنه لم يخنه في أهله. ولتكون صحيفته بيضاء نقية أمام الملك، وأمام جميع الناس.

﴿وَقَالَ أَلَيْكَ أَتُّونِي يَٰيُوسُفُ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَتَنَّهُ مَا بَالَ الْإِسْوَءِ الَّتِي قَطَعَنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَوَدُّنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَسَّ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنِّ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدُّنُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ أَنَّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْغَائِبِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف: 50-52].

وحول براءة يوسف ذكر عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء كلمة قديمة للإمام الفخر الرازي أوردها في تفسيره، خلاصتها: إن يوسف قد دل الله ببراءته بقوله: ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24]. وشهد الشيطان ببراءته ﴿وَلَاغْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ [الحجر: 39-40]. وشهد ببراءته الشاهد من أهل العزيز إذ قال: ﴿إِنْ كَانَتْ فَمِصْمُهُ قَدْ مِنْ قُبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢٦) وَإِنْ كَانَ فَمِصْمُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى فَمِصْمُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُمْ مِنْ كَيْدِكَ إِنَّ كَيْدَكَ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يوسف: 26-29]. وشهد ببراءته النسوة اللاتي قطعن أيديهن بقولهن: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ [يوسف: 51]. وشهدت ببراءته زوجة العزيز بقولها: ﴿الْفَنِّ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدُّنُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: 51].

يوسف بحضرة الملك:

بعد ظهور براءة يوسف ازداد إعجاب الملك به وصمم أن يجعله وزيره الخاص. وأرسل إليه رسولاً من قبله للمثول بين يديه. وخرج من

السجن عالي الجبين، نقيّ السريرة.

ومثّل بين يدي الملك.

وأخبره الملك أنّه ذا مكانة عنده، وأنّه يثق به. وطلب يوسف من الملك أن يولّيه مهمة إدارة الأزمة.

وكان له ما أراد.

وانتقل من السجن إلى أبهة الملك، وصار الرجل الأول في مصر بعد الملك، ومن أقرب المقربين لديه.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوِي بِدِيَّ أَسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا جَزَاءُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

[يوسف: 54-57].

سني المجاعة:

بعد أن تسلّم يوسف مهامّه من الملك قام من فوره بإصدار التعليمات إلى الناس بالإكثار من زراعة القمح بزيادة رقعة الأراضي الزراعية. وقام بنفسه بالإشراف على تخزين الزائد عن حاجة الناس، ليكون في خزائن مخصوصة تحت إشرافه المباشر.

وانتهت السنين الخصبة التي أشار إليها يوسف من خلال رؤيا الملك. وبدأت السنين العجاف، سني المجاعة. وابتدأ الناس يشعرون بالجوع فكان الواحد يأتي إلى خزائن الملك يضع بضاعته أو ماله ويشتري من الملك ما يسدّ به رمقه، ورمق عياله.

وروي أن يوسف في سني المجاعة كان لا يشبع من الطعام في يومه. وقيل له ذات يوم: أتجوع وييدك خزائن الأرض؟ فقال: نعم لأنني أخاف إن شبت أن أنسى الجائع.

المجاعة وإخوة يوسف:

لم تقتصر سني الجذب على مصر وحدها؛ بل عمّ بقية المناطق المحيطة. وكان قد سرى بين الناس، أن من يريد الطعام لأهله، عليه أن يذهب إلى مصر حيث القمح موجود فيها بكثرة، بين يدي ملك عادل. وكان بين تلك المناطق فلسطين، حيث يقطن إخوة يوسف مع أبيهم. وشعر هؤلاء بالجوع، شأن غيرهم من أهل الجوار. فما كان منهم إلا أن طلبوا من أبيهم السفر إلى مصر لجلب الطعام. فأذن لهم أبوهم وذهبوا بما لديهم من جمال وحمير، وحاملين معهم ثمن الطعام. وحينما وصلوا أرض مصر، ذهبوا من فورهم إلى حيث الطعام، ورآهم يوسف فعرفهم، وهم لم يعرفوه. وكيف يعرفونه، وقد بدّلته السنون، وزادته أبهة الملك جمالاً إلى جماله. وهم على ما هم عليه، لم يتغيّر فيهم شيء، سوى ملامح قليلة في وجوههم تركتها السنين. وإخوته الذين أتوا كانوا عشرة. ولم يكن معهم بنيامين. هنا لم يُظهر يوسف معرفته لهم؛ بل أسرها في نفسه. وعمد إلى استدراجهم كي يعلم أخبار أخيه بنيامين، وعلم منهم أنه بخير، وأنه موجود عند أبيه في فلسطين، ولم يأذن له بالذهاب معهم.

عند ذلك أمر يوسف العمال، بأن يكيلوا لهم القمح بعد أن دفعوا ثمنه. وعندما همّوا بالرحيل عائددين إلى بلادهم، إذا بيوسف يقول لهم: في المرأة القادمة عليكم أن تأتوا بأخ لكم من أبيكم وتبتاعوا القمح. ألا

ترون أنني أوفي لكم الكيل، وأني خير من يستقبل الناس من جميع الأنحاء. وإن لم تأتوا بأخيكم الذي تقولون إنه موجود عند أبيكم، فلا كيل لكم عندي. وذلك لنعلم أنكم صادقين فيما تدعون أم لا؟!

وأمر يوسف أحد عماله قبيل مغادرتهم المكان، أن يضع ثمن الطعام الذي جاءوا به بين أوعيتهم، لعلهم يرجعون مرة أخرى، لأنه يعلم أن إخوته أولاد يعقوب، لا تسمح لهم أنفسهم بأخذ شيء ليس لهم.

وعمد يوسف بهذا التصرف ليأتوا له بأخيه الذي ازداد شوقاً إليه.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَرَوْهُ عَنْهُ آبَاؤُا وَإِنَّا لَفَعَلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف: 58-62].

ووصل إخوة يوسف إلى أهلهم بالطعام، وأخبروا آباهم بما كان من أمر عزيز مصر، وأنه لا يعطيهم طعاماً مرة أخرى، إلا إذا كان أخوهم بنيامين معهم.

هنا تذكّر يعقوب ما كان من أمر أولاده مع يوسف، وقال لهم: كيف آمنكم عليه وعلى حفظه، وأنتم فعلتم ما فعلتم بيوسف.

وبعد هذا الحوار الذي تمّ بين الأبناء والأب قاموا وفتحوا أوعيتهم لإخراج الطعام لأهلهم، ولكن وجدوا شيئاً!.

لقد وجدوا ثمن الطعام في رحالهم. هنا تذكروا كرم يوسف لهم وحاولوا محاورة أبيهم من جديد بأن يعطيهم أخاهم بنيامين ليعودوا مرة

أخرى إلى عزيز مصر، إلى ذلك الكريم الذي أعطاهم الطعام وردّ إليهم الثمن. وقالوا لوالدهم: إن سمحت لنا بأخذ بنيامين نستطيع أن نعود بالطعام مرة أخرى ونزداد كيل بعير آخر.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَبِيرُ أَهْلِنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ لِّسِيرٍ ﴿٦٥﴾﴾ [يوسف: 63 - 65].

فكر يعقوب بما يقوله أبنائه، فرأى من الحكمة أن يذهب الجميع إلى أرض مصر لإحضار الطعام، لأنهم إن لم يذهبوا يقضي الجميع جوعاً. وفي الوقت نفسه كان يخاف من مكرهم، الذي أودى في المرة الأولى إلى فقد ولده يوسف، ويخاف هذه المرة أن يفقد الآخر بنيامين.

وبعد إصرارهم وتفكيره طويلاً، أذن لهم بعد أن أخذ منهم عهداً على أن لا يتعرضوا له بسوء وأن يحفظوه، وأنهم إذا ما تعرضوا للهلاك عليهم أن يهلكوا دونه. وأقسموا بالله العظيم على ذلك، وقال لهم أبوهم: «والله على ما نقول وكيل».

ووصّى أولاده إذا ما اقتربوا من أبواب المدينة في مصر، عليهم أن يدخلوها من أبواب متفرقة وليس من باب واحد حتى لا يثيروا الشكوك من حولهم، ويحفظوا من عيون الناس والحساد.

﴿قَالَ لَن أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِن اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنِّي﴾

بَابٍ وَحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا إِلَهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ [يوسف: 66 - 67].

إخوة يوسف برفقة بنيامين:

عاد إخوة يوسف إلى مصر برفقة بنيامين، ليتزوّدوا بالطعام. وعملوا بنصيحة أبيهم، فدخلوا المدينة من عدّة أبواب وليس من باب واحد.

وما إن وصلوا إلى المدينة ودخلوا على يوسف - ولا يزالون لا يعرفونه - عرفهم وأكرمهم بواجب الضيافة. وجزّأهم اثنين اثنين للمبيت، وانفرد ببنيامين فضمّه إليه فكانا اثنين. ولما خلا به عرفه أنّه أخوه يوسف وجعل يضمّه إلى صدره ويقبله.

وتعانق الاثنان، وأمر يوسف أخاه بنيامين بكتّم أمره عن إخوته، فعمل بما أشار عليه يوسف. ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: 69].

وأراد الاثنان أن يبقيا معاً، ولكن لا يكون ذلك إلا بحيلة اتفقا على تنفيذها. وهو أن تُحمّل رحال الجميع بالطعام ويُدسّ صواع الملك⁽¹⁾ في رحل بنيامين. وحينما تزفّ ساعة الرحيل يُنادى على القوم، ومن يُوجد صواع الملك في رحله يكون هو السارق، ويستطيع ساعتهنّ يوسف أن يقتصّ منه. وهنا يستطيع يوسف أن يستبقي أخاه عنده.

(1) صواع الملك: الكيل المصنوع من الذهب، الذي يشرب فيه الملك ويكال فيه الطعام.

وبالفعل حُمِلت رحال إخوة يوسف بالطعام. وأمر يوسف أحد العمال أن يضع صواع الملك في رحل بنيامين. وودَّع الجميع يوسف وشكروه على كرمه. وهتموا بالمغادرة وبنيامين لا يزال معهم.

وإذا بمنادي الملك يأمرهم بالتوقف، وبعدم المغادرة لفقد صواع الملك. وقيل لهم: لمن يأتي بهذا الصواع له حمل بغير. وأنكر الإخوة المغادرين هذا الأمر الذي اتَّهموا به.

وقبل أن تفتش رحالهم قيل لهم: ما جزاء من يُعثر عليه في رحله في شريعتكم؟

قالوا: جزاؤه أن يأخذه صاحب المال رقيقاً عنده. ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا أَلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُوتَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا نَأَلَّهُ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [يوسف: 70-75].

وأراد يوسف بهذا أن يستدرجهم ليأخذ أخاه، وبدأ تفتيش الرحال الواحد بعد الآخر، وجعلوا البحث في رحل بنيامين متأخراً عن الباقين كي يتم سبك الحيلة عليهم.

وما إن وصل التفتيش إلى رحل بنيامين حتى ظهر صواع الملك. فاغتاظ إخوة يوسف وقالوا عن بنيامين: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل كذلك.

وحينما اتهم الإخوة يوسف بالسرقة أسرَّ إساءتهم وقال في نفسه :
 أنتم الشريرون والله أعلم بكم . ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعَيْنَتِهِ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا
 مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا
 أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ ﴿٧٦﴾﴾ قَالُوا إِنْ
 يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ
 قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَنَّاتٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يوسف: 76-77].

وما أن انتهى التفتيش حتى قُبِضَ على بنيامين بتدبير مسبق بين
 الجميع . وهنا تذكَّر الإخوة العهد الذي قطعوه لأبيهم بأن يحفظوا أخاهم
 بنيامين . ﴿قَالُوا يَتَّخِذُهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا
 نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 78]. ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا
 مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا ظَلَمْنَا لَنَا تَبَوُّنَ﴾ [يوسف: 79].

عودة الإخوة إلى أبيهم دون بنيامين:

بعد أن أصرَّ يوسف على استبقاء بنيامين عنده، ذهب الإخوة
 يجتمعون ويتناجون فيما بينهم، وفيما يتصرفون حيال أبيهم عندما
 يلاقونه . فقال كبيرهم : ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ
 اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ
 اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: 80].

وبقي كبيرهم في أرض مصر بعد أن أمر إخوته بالرجوع إلى أبيهم
 وإخباره بأن ابنه بنيامين سرق، وإنهم لم يكونوا يعلمون بأمره . ﴿أَرْجِعُوا
 إِلَيَّ أَيْكُمْ فَقُولُوا يَتَّخِذُنَا بِأَنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا
 لِلْغَيْبِ حَفِظِينَ﴾ [يوسف: 81].

وذهبوا إلى أبيهم وأخبروه بما حصل. ولكن أباهم لم يصدقهم. وأرادوا إثبات صدقهم فقالوا له: فاسأل أصحاب العير⁽¹⁾ الذين كانوا قد شهدوا ما حصل وهم معنا من جيراننا. فلم يصدقهم يعقوب، لأن لهم سابقة قديمة كانت لهم مع يوسف حينما استأنهم عليه. وذهبوا به دون عودة. ﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ [يوسف: 82 - 83].

وتجاهلهم يعقوب، وذكر حنينه ليوسف، وابتضت عيناه من الحزن ومن شدة البكاء. ولكن أولاده اقتربوا منه وقالوا له: «ستظل تذكر يوسف حتى تهلك أو تموت». وذلك من خوفهم على أبيهم.

فقال لهم: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّفَ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 86].

يعقوب يرسل أولاده إلى مصر:

بعد أن هدأ روع يعقوب، جمع أولاده من حوله، وقال لهم: ﴿يَبْنَئِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُونُسَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأَيَّسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87].

وامثل الأولاد لأمر أبيهم، وذهبوا مرة ثالثة إلى مصر بحثاً عن إخوتهم، وطلباً للطعام، الذي كاد ينفد من عندهم، وشارفوا على الهلاك، حتى لم يعد لديهم ثمن الطعام الذي سيبتاعونه إلا أن يتصدق عليهم يوسف به.

(1) العير: الحمير.

وما إن وصلوا إلى أرض مصر ودخلوا على يوسف حتى قالوا له : ﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلُنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزْجَنَةٍ⁽¹⁾ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف : 88] .

وبعد أن رأى يوسف حال إخوته أشفق عليهم وبكى، ثم ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [يوسف : 89] .

هنا تنبّه الإخوة للعزير، ولنبرات صوته، ولعباراته التي أوردتها لهم، ولا يعلمها إلا هم ويوسف، فتنبهوا للأمر و﴿قَالُوا أَوَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ [يوسف : 90] .

﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصِيرَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف : 90] .

﴿قَالُوا نَالَهُ لَفَدْ مَا تَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾ [يوسف :

[91] .

﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ⁽²⁾ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف : 92] .

واجتمع شمل جميع الإخوة، بعد أن سامحهم يوسف على ما كان منهم، وما سببوه له من الذلّ والمهانة، وبعده عن أهله السنين الطوال . وما لاقاه من أهوال في حياته، وسيّئت له الدخول إلى السجن ظلماً .

وأثناء حواراتهم مع بعضهم، ذكروا ليوسف حال أبيهم، وفقده بصره من شدة حزنه على يوسف وعلى أخيه .

(1) ببضاعة مزجاة: بضاعة رديئة لا تساوي ثمن الطعام .

(2) لا تثريب عليكم اليوم: لا تأنيب عليكم اليوم فقد سامحتكم على ما كان منكم .

فما كان منه وهو النبي، أن ألهمه الله، أن يعطي قميصه لإخوته. وأن يذهبوا به ويضعوه على وجه أبيهم، فيعود له بصره بإذن الله. وأمر إخوته بعد ذلك، بأن يأتوا بأهلهم أجمعين إلى أرض مصر. ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: 93].

وغادر الإخوة أرض مصر، يريدون أرض فلسطين، ومعهم قميص يوسف، وما إن قطعت القافلة مسافة من الطريق، وإذا بريح تمر من تلك الناحية، فحملت معها رائحة قميص يوسف، ومرت فوق يعقوب. فشم رائحة يوسف ولده وحيبيه، الذي فقدته من سنين طويلة.

فرح يعقوب بذلك وتكلم مع من حوله بهذا الشأن، وأراد أن يصدقوه. ﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ⁽¹⁾﴾ [يوسف: 94].

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْكَبِيرِ﴾ [يوسف: 95].

وظل يعقوب موقناً أن ما يشمه هو رائحة يوسف فعلاً. وانتظر عودة أولاده بفارغ الصبر حتى أتاه من سبق القافلة بأن ولده يوسف لا يزال على قيد الحياة، وأنه من أعيان مصر الكبار. وأخذ قميص يوسف الذي بحوزته وألقاه على وجه أبيه فارتد بصيراً. ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 96].

ووصل الأبناء إلى أهلهم واجتمعوا بأبيهم واعترفوا بذنبهم و﴿قَالُوا يَتَابَانَا آسْتَعْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: 97].

(1) تفنّدون: تتهمونني بالخرف.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف:

. [98]

عودة الجميع إلى مصر ولقائهم بيوسف:

بعد أن ارتاح الجميع عزموا أمرهم على الرحيل وبدأوا بحزم أمتعتهم ومغادرة المكان، إلى مصر، إلى يوسف.

ومشت القافلة وكان بينها يعقوب وزوجته - خالة يوسف وبمقام أمه - . وما إن وصل الجميع إلى أرض مصر، حتى دخلوا على يوسف .
فما كان منه إلا أن تقدم وسلم على أبويه ورفعهما على العرش .
وخر الجميع له سجداً . وذلك بمعنى التحيّة والإكبار له .

عند ذلك تذكّر يوسف الحلم الذي رآه في صغره، وقصّه على أبيه قبل أن يلقى في البئر . وقال لوالده: إِنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا قَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ حَقِيقَةً .
﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 99 - 100].

وبعد أن تمّ اللقاء بين الجميع، لم يزدد يوسف إلا تواضعاً لله .
ودعا بهذا الدعاء فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101].

موت يوسف:

بعد هذه الحياة الحافلة بالمفاجآت مات يوسف عن عمر يناهز مائة وعشرين سنة. وتوفي في أرض مصر ودفن فيها.

**العبر من قصة يوسف:**

يؤخذ من قصة يوسف عدة عبر، منها:

- 1 - أن لا يسخر إنسان من إنسان آخر، فربما من يُسخر منه اليوم يكون أفضل من الذي سخر منه غداً، كما فعل إخوة يوسف حينما ضربوه وسخروا منه وألقوه في البئر. وحينما كبر كان في موضع القوة وساعدهم في إيجاد الطعام وأرسل إليهم كي يدخلوا مصر الأرض الخصبة.
- 2 - ملامح الخير في الفتى يراها كل من له بصيرة.

- 3 - قد يُحسن الإنسان إلى غيره من حيث يريد الإساءة ، فإخوة يوسف أرادوا إبعاده والإساءة إليه فكان أن هبَّ الله له مكانةً في مصر.

- 4 - يجب التفكير والتحقيق من الأقوال والأفعال وعدم التسرع في الحكم على الأمور، كما تفحص يعقوب قميص يوسف عندما جاء أولاده بقميص يوسف وعليه دم كذب وهم يدعون أن الذئب أكله. أيضاً ما كان من أمر يوسف مع امرأة العزيز عندما ادَّعت أن يوسف يراودها، فما كان من قريب لها إلا أن فكَّر وأتى بالأدلة على كذبها وصدق دعوى يوسف.

- 5 - التحقق في علم الجريمة واجب كما ادَّعت امرأة العزيز ظلماً أن يوسف راودها عن نفسها. وجاء قريبها وجاء بالبيِّنة بالتحقيق: ﴿إِنْ

كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ [يوسف: 26 - 29].

6 - من يحفظ الله يحفظه كما حفظ يوسف نفسه من كيد امرأة العزيز.

7 - الفراغ يجلب المصائب كما كان الأمر من فراغ امرأة العزيز من الأعمال، مما دعاها إلى التفكير بمراودة يوسف عن نفسه.

8 - الصبر عاقبته الظفر، فصبر يوسف على ما أصابه حقق له أعلى مكانة.

9 - على من يدعو إلى الله أن يتخير الوقت المناسب كما فعل يوسف مع صاحبي السجن.

10 - هناك في السجن مظالم يجب أن يحتسبوا أمرهم عند الله، ويصبروا حتى يفرج الله عنهم، كما فرج عن يوسف. وليعلم أن الله لا يضيع عنده مثقال ذرة.

11 - المؤمن لا يعرف الحقد كما مرّ مع يوسف عندما فسر منام الملك، مع أن طالب التفسير أخلفه ما وعده من إخبار الملك بأمره.

12 - التميّز بالحلم وطول البال زينة المرء كما تميّز به يوسف عندما سنحت الفرصة لإخراجه من السجن. فأبى الخروج إلا بعد ظهور براءته كي يخرج رافع الرأس عالي الجبين.

13 - التميّز بصحة الاختيار زينة المرء أيضاً، كما تميّز به يوسف

عندما طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، إذ إنه لم يكن له ثقة بأحد يكون في هذا الموضع الحساس. ليرى ويوجه عن كذب ما يقوم الناس بفعله، ويسهر على أرواح الناس في مصاب الجوع.

14 - التمييز بالعدل من شيم الكرام كما تميّز به يوسف عندما كان في السلطة، ورفض أن يأخذ أحداً مقابل من وجد صواع الملك في رحله. ﴿مَا كَانَ لِأَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَتَهُ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76].

15 - التمييز بالصفح من شيم الكرام، وتجلّى ذلك عندما سامح يوسف إخوته عما سبّوا له من الشقاء والتعاسة في مستقبل حياته.

16 - الكرم من الصفات الحميدة التي يتحلّى بها المؤمن، كما كان ذلك واضحاً في صفات يوسف حينما أرسل في طلب إخوته وحملهم إلى أرض مصر.

17 - التواضع لله واجب على المؤمن مهما بلغ شأنه في هذه الحياة وكلما ازداد تواضعاً لله كلما ازداد رفعةً وقرباً من الله. وهذا نبي الله يوسف تميّز بالشكر لله على ما أنعم عليه من النعم وجعله في منصب كبير، ودعا ربّ العزة وقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: 101].

18 - التعلّم من يوسف أن هناك خطأ يجب أن تَعْمدها الدولة. وهو ما نسمّيه اليوم الخطة البعيدة المدى. ويتجلّى ذلك عندما خطط للاحتياط لسني المجاعة، بالعمل على الزراعة طيلة سبع سنوات، ثم التنظيم في العطاء لمن يطلب الطعام.

19 - إن قصة يوسف عُبر عنها بأنها أحسن القصص ؛ لأنَّ فيها ذكر الأنبياء والصالحين وسير الملوك والتجار والعقلاء والجهلاء، وحال الرجال والنساء ومكرهنَّ وحيلهنَّ، وفيها ذكر العفة والتوحيد وتعبير الرؤيا وآداب السياسة وتدبير المعاش إلخ . . ولأنَّها تصلح للدين والدنيا.

